علم السموم في الطب العربي

د. محمد زهير البابا

اســـــم الكتـــــاب: علم السموم في الطب العربي

اســـم المـــؤلـــــف: د. محمد زهير البابا

الترقيم الـــــدولي:ISBN:9789776689381

جميع حقوق الطبع وإعادة الطبع والنشر والتوزيع © محفوظة لدار المحرر الأدبي للنشر والتوزيع والترجمة المشهرة برقم ٢٤٨٢١ بتاريخ ٢٠١٥/١٠/١. ومقرها جمهورية مصر العربية / محافظة الجيزة.

وأي اقتباس أو تقليد، أو إعادة طبع، أو نشر أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال دون موافقة قانونية مكتوبة من الناشر يعرض صاحبه للمساءلة القانونية، والآراء والمادة الواردة وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب خاصة بالمؤلف فقط لا غير.

العنوان: جمهورية مصر العربية/ محافظة الجيزة/ مدينة السادس من أكتوبر/ ٣٣ التمويل العقاري.

هاتف: ٠٠٢٠٢٣٨٨٥٠٦٤٩/ موبايل ٠٠٢٠١٥٥٣٢٤٧٤٨٦

البريد الإلكتروني: tahreradbe@gmail.com

علم السموم في الطب العربي

د. محمد زهير البابا

مقدمة

في شهر نيسان من عام ١٩٧٩ عقد في جامعة حلب الندوة الثانية لتاريخ العلوم عند العرب. وقد حضر هذه الندوة لفيف من العلماء المهتمين بتاريخ العلوم، وكان من جملتهم بضعة أطباء ومؤرخين جاؤوا من الهند وباكستان. وقبيل انتهاء المحاضرات الطبية قام أحد هؤلاء العلماء، وهو طبيب من مدينة كلكتا، فحمل حملة شديدة على المؤرخين العرب المعاصرين، لتجاهلهم الطب الهندي وتأثيره في الطب العربي، وقال مستشهداً: "إن ابن أبي أصيبعة، ومن قبله ابن النديم وغيرهما من المؤرخين، وكذلك الطبري والرازي والبيروني وغيرهم من المؤلفين في الطب العربي القديم، قد ذكروا أسماء كثير من الأطباء الهنود، الذين جاؤوا، إلى البلاد العربية والإسلامية فزاولوا المهنة، أو الذين كانت لهم مؤلفات مشهورة اقتبس منها العرب كثيراً، وضمنوا كتبهم نصوصاً كاملة منها".

ولما كنت حاضراً تلك الجلسة فقد طلبت الكلام للرد عليه وقلت: "كلنا يعلم بأن مدينة بغداد قد ورد عليها منذ عهد المنصور فئتان من الأطباء، إحداهما جاءت من جند يسابور، وكانت ثقافة أفرادها مزيجاً من اليونانية والفارسية والسريانية، ويدينون بالديانة النصرانية، وكان من أشهرهم جورجيوس بن بختيشوع، كبير أطباء البيمارستان، وعائلته وطلابه، وكذلك ماسويه الخوزي وابنه يوحنا بن ماسويه، وسابور بن سهل صاحب الأقرباذين المشهور، وأبو قريش عيسى أول من أطلق عليه لقب الصيدلاني في تاريخ الطب العربي، وغيرهم كثيرون.

أما الفئة الثانية فكانت من الأطباء الهنود، جاءت بتشجيع من العائلة

البرمكية، وكان من أشهرهم الطبيب منكه، وصالح بن بهلة، وغيرهم من البوذيين. وكان من البديهي أن يحوز أطباء جنديسابور ثقة الخلفاء المسلمين وثقة عامة الشعب، لعدة أسباب: أولها أنهم كانوا من أهل الذمة، يضاف إلى ذلك أنهم كانوا أقرب صلة ونسباً إلى العرب من النواحي اللغوية والعرقية والتاريخية.

ومع ذلك فإن المؤرخين والمؤلفين في الطب العربي لم يغمطوا الأطباء الهنود حقهم، بل ذكروا حسب شهادة الزميل الهندي، فضل هؤلاء الأطباء وذكروا أسماء مؤلفاتهم وما اقتبس العرب منها" لقد ذكرتني هذه المناقشة، التي كان محورها تأثير الطب الهندي في الطب العربي، بمخطوطة قديمة نادرة، كنت تصفحتها في المكتبة الظاهرية بدمشق، عنوانها "كتاب شاناق في السموم والترياق" وقررت أن أنتهز أول فرصة للقيام بدراستها وتحقيقها للاطلاع على ما وصل إليه الطب الهندي قديماً في علم السموم. ولما دعاني المجلس الأعلى للعلوم، للاشتراك بأسبوع العلم التاسع عشر، وجدت أن خير ما أتكلم به هو علم السموم في الطب العربي، وصلته بعلوم الشعوب القديمة والحديثة*.

التسمم العفوي والتسميم القضائي:

من المعلوم أن الإنسان البدائي، منذ أن ظهر على وجه الأرض، كان عرضة لمجموعة من المصائب الطبيعية، التي كانت تهدد كيانه وتقضي على عدد كبير من أفراده. وكانت النباتات والحيوانات السامة تعتبر من ألد أعداء الإنسان، الذي صعب عليه لفترة طويلة من الزمن، أن يميز بين النبات النافع والنبات الضار، والحيوان الذي يمكن أكل لحمه، والحيوان الذي يقضي عليه إذا

* يعتبر علم السموم من العلوم القديمة بموضوعها الحديثة بأساليبها. وقد اشترك كثير من شعوب العالم بتطوير هذا العلم، لذلك لا بد لنا من أن نشرح مراحل تقدمه هذه عند كل من الشعوب الرئيسية التي شاركت في بناء حضارتنا.

أكله.

وبنتيجة عدد كبير من التجارب الحسنة والسيئة، والتي دامت آلاف السنين، استطاع الإنسان البدائي أن يصنف النباتات والحيوانات التي تعيش إلى جواره في فئتين:

أولاً–نباتات وحيوانات مأكولة، لا يوجد أي خطر من الإكثار منها، واعتبرها الجزء الأساسي من غذائه.

ثانياً–نباتات وحيوانات تتجلى في بعض أقسامها أو جميعها صفات غير مستحبة، كالرائحة الكريهة أو النتنة أو الواخزة، والطعم المر أو المغثي او الحريف، فتجنبها واعتبرها مؤذية لا يجوز أكلها.

ولكن نتيجة الخطأ أو التجربة الحذرة أو التقليد لبعض الحيوانات، اطلع الإنسان على الخصائص الدوائية لبعض النباتات التي كان يتجنبها، فتجرأ على تناولها بمقادير قليلة، وضمن ظروف معينة، فأعانته على التخلص من بعض أمراضه، كما ساعدته على التخلص من بعض أعدائه. وقد بقيت مجموعة كبيرة من النباتات الطبية، التي لم يهتد الإنسان لفوائدها حتى أوائل القرن التاسع عشر، وكانت تصنف في جملة السموم البحتة، التي لا يجوز استعمالها مهما كانت الظروف.

ومن مصائب الطبيعة التي صادفها الإنسان الحيوانات الضارية والحشرات

السامة. ومما لا شك فيه أن المناعة والمقاومة الذاتية لجسم الإنسان قد لعبتا دوراً مهماً في دفع أذى الجراثيم والذيفانات الحيوانية والنباتية عنه، ولكنهما مع ذلك لم تكونا كافيتين لحفظ صحة الإنسان وبقائه دائماً. لذلك لجأ إلى النباتات والمواد المعدنية يطلب مساعدتها في شفاء لدغ الأفاعي ولسع العقارب ونهش الضواري، صنع منها الترياقات وحضر بعض الأدوية البسيطة. كما لجأ أيضاً إلى النباتات الغنية بالزيوت الراتنجية أو المواد السامة فاستعملها لتنفير الحشرات والحيوانات الضارة، أو للقضاء عليها، وذلك بتبخير مساكنه وتعفير فراشه وتسميم سهامه.

لقد لجأت بعض الشعوب القديمة، منذ فجر التاريخ، إلى ما يسمى بسموم التجربة Poisons dèpreuve، وهي مواد مؤذية كانت تعطى كل من يشتبه بارتكابه جرماً يستحق عليه عقاب الموت، فإذا نجا من أذاها اعتبر بريئاً، ومن قضي عليه عد مجرماً واستحق عقابه. وقد تحولت سموم التجربة، عند بعض الشعوب، إلى سموم قضائية Poisons judiciairos، يجبر على تناولها المذنب، وذلك كما تم للفيلسوف سقراط(٢)، الذي حكمت عليه مدينة أثينا بالموت، فأجبر على تناول منقوع الشوكران السام فمات.

علم السموم قبل اليونان:

مما لا شك فيه أن معرفة التأثير الدوائي والسام للنباتات الطبية كان يعتبر من أهم أقسام علم الطب. وقد تجمعت المعلومات الأساسية في العقاقير والنباتات السامة طيلة قرون عديدة على يد الكهنة والسحرة وجامعي الأعشاب وحكماء وشيوخ القبائل. ولما قامت الصناعات المعدنية المختلفة، منذ عصر البرونز وما بعده، تعرف الإنسان مجموعة كبيرة من المواد السامة وقد استعملها في تحضير

الزجاج والخزف والصابون، أو صبغ بها الشعر والألياف والأنسجة، كما اهتدى أيضاً إلى بعض المركبات السامة الأخرى أثناء صنعه للأسلحة والأدوات النحاسية والرصاصية والحديدية.

ويقول ابن أبي أصيبعة "وممن اشتهر بالسموم (هرمس الثالث) فإنه سكن مدينة مصر وكان بعد الطوفان. وهو صاحب كتاب الحيوانات ذوات السموم. وكان طبيباً فيلسوفاً عالماً بطبائع الأدوية القتالة والحيوانات المؤذية. وكان جوالاً في البلاد طوافاً بها، عالماً بالمدائن، وطبائعها وطبائع أهلها. وله كلام حسن في صناعة الكيمياء نقتبس منه ما يتعلق بصناعات كثيرة كالزجاج والخرز والغضار وما أشبه ذلك. وكان له تلميذ يعرف باسقلبيوس وكان مسكنه بأرض الشام".

ويقول المؤرخ جورج سارتون في كتابه تاريخ العلوم "لقد بلغ الطب أوجه على يد المصريين في القرن السابع عشر قبل الميلاد وما قبله. أي قبل العصر الأبقراطي بأكثر من ألف سنة. ووصلت شهرته إلى بلاد اليونان، كما تشهد بذلك الأوديسا وتاريخ هيرودوت والمصنفات الأبقراطية" ثم يقول بعد ذلك:

"ومن الممكن أيضاً أن يكون اليونان قد اقتبسوا شيئاً من المعارف الطبية البابلية، إلا أنهم توصلوا منذ عهد هوميروس إلى استنباط الكثير من المعلومات بجهدهم الخاص. وما كاد القرن الخامس قبل الميلاد ينصرم حتى وصل اليونان بالطب إلى مستوى أرفع جداً مما كان عليه سابقاً في مصر أو في بلاد ما بين النهرين".

ويذكر هوميروس في بعض أشعاره أن النساء في بلاد اليونان كن يشتغلن بالأعمال الطبية من تمريض وجمع أعشاب وإعداد عقاقير، مثل إعداد الشراب المخدر المهدئ Pharmacon nepenthès الذي أخذت هيلانة سر صنعه عن امرأة مصرية".

علم السموم في العصر اليوناني:

إن موضوع السموم والتسميم الجنائي أمر لم يكن من المستحب الخوض فيه عند اليونان. وقد أورد جالينوس في كتابه السموم أسماء بعض أشخاص ورد ذكرهم في الأساطير المصرية واليونانية، ممن اشتهروا بعلم السموم، أمثال حوروس وأورفه وهليودور وغيرهم، لكنه أضاف قائلاً: "وعلى المرء أن يكون حذراً وأن يتحاشى من الكلام عن السموم، وألا يبين تركيبها للعامة، لأنه من الممكن أن يستفيد منها هؤلاء الناس وأن يرتكبوا الجرائم".

لم يكن يعرف عن الشعب اليوناني، قبل زمن الاسكندر المكدوني، أن أفراده أو حكامه قد لجؤوا إلى السموم للتخلص من أعدائهم، ولكن إذا رجعنا إلى قسَم أبقراط، الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد، نجد في نصه الجملة التالية "وأقسم ألا أعطي إذا طلب مني دواء قتالاً، ولا أشير أيضاً بمثل هذه المشورة".

لقد امتنع أبقراط عن البوح بأسماء السموم الضارة، كما أنه لم يؤلف أي كتاب يبحث في السموم، لا من ناحية أنواعها، ولا من جهة تأثيرها، وعوارض التسمم بها.

يقول الدكتور كوهين ابرست في مقدمة كتابه علم السموم ما يلي:

"لقد استفاد الإنسان من خصائص السموم النباتية والحيوانية والمعدنية، ولجأ إلى التسميم الجنائي منذ أقدم العصور. ولكن لا يوجد لدينا معلومات كافية عن المواد التي استعملها الإنسان لهذا الغرض ولا عن الطرق التي لجأ إليها" ثم يضيف إلى ذلك قوله: "لقد سعى الجناة منذ القديم إلى الحصول على سموم بطيئة التأثير، بحيث يعسر معها كشف الجريمة.

وقد تكلم الفيلسوف والطبيب اليوناني تيوفراست (٣٧٢-٢٨٧ق.م) عن سم بطيء يتخذ من جذر خانق الذئب، وتحدث فيه الوفاة بعد شهرين أو ثلاثة من تناوله".

علم السموم في العصر الهلنستي:

توفي الاسكندر المكدوني (٣٢٣ق.م) وخلف امبراطورية واسعة امتدت من نهر السند شرقاً إلى صحراء ليبيا غرباً-واقتسم قواده من بعده المقاطعات التي كانت تتألف منها هذه الامبراطورية العظيمة، فظهرت إلى الوجود ممالك ودويلات تفاعلت فيها الحضارة اليونانية مع الحضارات الشرقية القديمة من هندية وفارسية ومصرية وسريانية.

لقد حاولت الدولة الرومانية، بعد قضائها على الدولة اليونانية (١٤٦ق.م) وعلى نفوذها في أوربا، أن تستولي على الدويلات التي خلفها الاسكندر في بلاد الشرق، فثارت بسبب ذلك حروب طاحنة دامت عدة قرون. ولم يكتف الرومان،

خلال هذه الحروب، باستعمال الأسلحة التقليدية للفتك بأعدائهم، بل لجؤوا إلى وسيلة جديدة لم يعرفها العالم القديم، وهي التخلص من كبار خصومهم بدس السم لهم في الطعام أو الشراب. كما درجت في هذا العصر عادة الانتحار بالسم، وهي الطريقة التي كان يلجأ إليها بعض الحكام أو القواد حينما تضيق بهم السبل، فيؤثرون أن يقضوا على أنفسهم بيدهم، خوفاً من أن يقعوا في أيدي أعداء يعذبونهم ويحقرونهم ويمثلون بهم قبل أو بعد إعدامهم. ويعتبر هانيبال ملك قرطاجة، وعدو روما الأول (٢٤٧-١٨٣ق.م) من أشهر عظماء التاريخ الذين لجؤوا إلى الانتحار بالسم خوفاً من الوقوع في أيدي أعدائه، وأمثاله عديدون.

يقول المؤرخ جورج سارتون(٣): "إن الطبيب أبو للودوروس الاسكندري، والذي كان يعيش في أوائل العصر البطليموسي، كانت له بعض الرسائل التي تكلم فيها عن الحيوانات السامة، كما كانت له رسالة تناول فيها العقاقير الضارة أو المميتة. ويبدو أن تلك الرسائل المفقودة كانت هي المصدر الرئيسي لكثير غيرها مماثلة لها ظهرت فيما بعد" ويضيف سارتون إلى ذلك قوله: "إن أول من استفاد من مؤلفات أبوللودوروس هذه الشاعر نيكاندروس (٢٠٤-١٣٨ق.م)، الذي كان كاهناً في معبد أبولون القريب من مدينة قولو فونيا في آسيا الصغرى. وقد كتب قصائده في موضوعات عديدة من حماسية وغزلية، ولكن أغلبها كان تعليمياً في تربية الماشية والنحل. ومن أشهر قصائده اثنتان إحداهما تكلم فيها عن الحيوانات السامة والثانية تكلم فيها عن العقاقير المضادة للسم".

ويذكر الدكتور سارتون(٤) أن اتاللوس الثالث، آخر ملوك برغاما (١٣٨-١٢٣ق.م) قد بحث في النباتات السامة ليعرف كيف يمكن استعمالها للتخلص من شخص متعب، وبنفس القدر من الأهمية، ليعرف كيف يستطيع المرء وقاية نفسه

منها، إذا ما خدع فابتلع عصارتها".

وفي القرن التالي اشتهر الملك ميتريدات السادس أو الكبير، وهو أحد الحكام البارزين الذين ناصبوا روما العداء. وقد حكم مقاطعة بنطس Pont-Euxin الواقعة شمال شرقي آسيا الصغرى، واستمرت حروبه مع الجيش الروماني فترة طويلة (٨٨-٦٣ق.م) وانتهت بهزيمته وقتله على يد القائد الروماني بومبي Pompèe، ويذكر بعض المؤرخين أنه انتحر بتبادل السم أيضاً(٥).

كان ميتريدات يخشى المؤامرات والدسائس التي كانت تحاك ضده. وقد أمضى حياته متأثراً بهذا الهاجس، فسعى جهده إلى تقوية جسده والمحافظة على قوته البدنية. لذلك قام بدراسة الحشرات والنباتات السامة، وحاول أن يكسب جسده مناعة ضد سمومها، وذلك بتناول مقادير قليلة منها. وكان يزيد تلك المقادير تدريجياً حتى يعتاد جسده على أذاها. وقد اشتق من اسم ميتريدات اسم ترياقي مشهور في الطب اليوناني والطب العربي هو (الميتريديطوس). وظل الأطباء والدجالون، حتى نهاية القرون الوسطى يستعملونه كدواء ناجع للوقاية والعلاج من مختلف السموم.

وإذا رجعنا إلى معجمات المصطلحات الطبية الحديثة نجد فعل mithridatiser، وهو يعني إعطاء إحدى المواد السامة بمقادير قليلة ومتزايدة، بقصد إكساب الجسم مناعة ضد تلك المادة.

علم السموم والتسميم الجنائي عند الرومان:

لقد ذكر المؤرخ الروماني Tite-live (٥٩ق.م-١٧م) (٦) عدة حكايات قديمة عن التسمم الجنائي، من أشهرها الحوادث التي قامت بها مجموعة من عشرين امرأة رومانية، اشتركن بصنع مشروب سام كن يقدمنه لأعدائهن. وقد قضت المحكمة، بعد ثبات الجرم، بأن يتناولن نفس المشروب، وقد قضي عليهن جميعاً.

ويقال بأن القائد الروماني المشهور (جرمانيكوس)، ابن أخت الامبراطور أوغوست، قد توفي (١٥-١٩ق.م) نتيجة تناوله سماً بطيئاً ولم يعرف أصله.

وفي عهد الامبراطور الروماني نيرون وأمه أغربين Agrippine اشتهرت امرأة تدعى لوكوست Locuste، كانت تساعد نيرون وأمه على التخلص من أعدائهما (٣٧-٦٨م) وذلك بدس السم لهم. إلا أنه لا يوجد لدينا حالياً أي معلومات جدية عن السموم التي كانت تستعمل زمن الامبراطورية الرومانية، كما لا نعلم شيئاً عمن كان يحترف تحضيرها واستعمالها أمثال لوكوست وغيرها.

ويرجح الدكتور كوهين ابرست أن كبريت الزرنيخ، وهو مادة طبيعية معروفة ومنتشرة في آسيا الصغرى وبلاد فارس، كان من أكثر السموم استعمالاً في ذلك العهد. ومن المرجح أن قدماء اليونان والرومان، قد اهتدوا واستعملوا بلا ماء الزرنيخي، الذي يمكن الحصول عليه من شي كبريت الزرنيخ، علماً بأن المادة الأخيرة هي غير سامة عملياً، لأنها غير منحلة بالماء، بينما بلا ماء الزرنيخي وأملاحه كلها مركبات منحلة، لذلك فهي شديدة السمية.

لقد استند العالم برتلو Berthelot، الذي أورد الفكرة الأخيرة في كتابه المسمى (مجموعة السيميائيين اليونان Collection des alchimistes grecs) إلى نص يعزى إلى عالم يوناني يدعى Olympiadore وصف فيه طريقة الحصول على مادة متبلورة بيضاء تشبه الشب نتيجة شيّ الزرنيخ (أي كبريت الزرنيخ). استعمل اليونان ومن بعدهم الرومان جذور الكندس (أو الخربق الأبيض) للتخلص من الفأر والذباب. ويذكر العالم والمؤرخ اللاتيني Aulic–Gelli (من القرن الثاني للميلاد) أن الغاليين، وهم سكان فرنسا القدماء، كانوا يسممون سهامهم بعصارة الخربق.

لقد شاع استعمال خانق الذئب، وهو نبات شديد السمية ويصادف بكثرة في إيطاليا، في التسميم الجنائي. وذكر العالم الروماني Pline أن المدعو Calpurnius Bestia قد لجأ إلى تسميم زوجاته باستعمال هذا العقار السام.

وفي قصائد الشاعر نيكاندور ورد ذكر لبعض السموم المعدنية كالمرتك Litharge والاسفيداج Ceruse والجبس Gypse والنورة أو الكلس الحي. وعرف في زمن ديوستوريد تأثير الزرنيخ والكلس في حلق الشعر.

ويعتبر الأفيون وخلاصة الخشخاش من أكثر السموم التي استعملت لمقاصد جنائية في آسيا الصغرى وبلاد اليونان. وقد استعملت هذه المادة أيضاً كدواء مضاد للسم بنفس الوقت، ذلك لأنها تعتبر من المركبات الرئيسية الداخلة في تركيب ترياق ميتريدات ومن جاء من بعده.

وفي ذلك الامبراطور نيرون (٥٤-٦٨م) اخترع طبيب كريتي، اسمه اندروماخش، ترياقاً آخر، حل محل ترياق ميتريدات، وكان أهم مادة جديدة أضيفت إلى الترياق الأخير هو لحم الأفاعي.

أهم المؤلفات اليونانية في علم السموم:

ظهر في العصرين الروماني والبيزنطي فئة من الأطباء، أكثرهم من أصل يوناني، وضعوا مجموعة كبيرة من المؤلفات الطبية. وقد تكلموا في بعض كتبهم عن السموم وترياقاتها نذكر منهم:

١-روقوس الافسسي:

من أطباء القرن الأول للميلاد، تكلم عن ابن أبي أصيبعة(٧)، فقال: "إنه لم يكن في زمانه أحد مثله في صناعة الطب. وقد ذكره جالينوس في بعض كتبه ونوه بفضله ونقل عنه" ويضيف ابن أبي أصيبعة إلى ذلك(٨): "ويقول جالينوس في كتابه-في نفي الغم-إنه احترق له في الخزائن العظمى التي كانت للملك بمدينة رومية كتب كثيرة وأثاث له قدر. وكان بعض النسخ المحترقة بخط أرسطوطاليس، وبعضها بخط انكساغوارس واندروماخس" ويقول (المبشر بن فاتك) أن من جملة ما احترق لجالينوس في هذا الحريق كتاب روقوس في الترياقات والسموم وعلاج المسمومين، وتركيب الأدوية بحسب العلة والزمان".

ويذكر ابن النديم في الفهرست أن لروقوس كتاباً في الأدوية القاتلة وآخر في الترياق، ويتالف كل من الكتابين من مقالة واحدة.

٢-دياسقوريد العين زربي:

طبيب يوناني اللغة، شامي المولد، عاش في القرن الأول للميلاد. وهو صاحب كتاب الأعشاب المشهور، الذي يضم جميع الأدوية المفردة التي عرفها اليونان والرومان في زمانه. ويتكلم ابن أبي أصيبعة عن هذا الكتاب فيقول(٩):

"وكتاب دياسقوريدس هذا خمس مقالات. ويوجد متصلاً به أيضاً مقالتان في سموم الحيوان تنسب إليه، وإنها سادسة وسابعة" ثم يذكر بعد ذلك أغراض مقالات هذا الكتاب واحدة واحدة. فيقول: إن المقالة الرابعة تشتمل على ذكر أدوية أكثرها حشائش حارة مسهلة ومقيئة، كما تضم حشائش نافعة من السموم".

يضم كتاب دياسقوريد عدداً لا بأس به من السموم الحيوانية والنباتية والمعدنية. وكان من آرائه أن السموم، ولو تعددت أنواعها، فإنها ذات تأثير متشابه. وقد تكلم عن الصعوبة التي يصادفها الباحث في الكشف عن الصفة المميزة لسم ما عن سم آخر. ولاحظ أيضاً أن الأعراض الناتجة عن التسمم تشبه أحياناً الأعراض الناتجة عن بعض الأمراض.

أما الطريقة التي ينصح دياسقوريد بالرجوع إليها في حالة التسمم فهي تقريباً مشتركة بين جميع السموم. وهي تقضي بتحريض الجسم على لفظ السم بأسرع طريقة ممكنة، وخاصة باللجوء إلى التقيؤ بواسطة مزيج من ماء فاتر وزيت، أو باستعمال مطبوخ لبعض الأعشاب(١٠).

٣-جالينوس:

طبيب يوناني، ولد في مدينة برغاما في آسيا الصغرى. وكان مولده كما ذكر ابن أبي أصيبعة بعد زمان المسيح بتسع وخمسين سنة(١١) ويقول عنه: "إنه كان خاتم الأطباء الكبار المعلمين. وأنه ليس يدانيه أحد في صناعة الطب، فضلاً عن أن يساويه. ويعود السبب في ذلك حسب رأي ابن أبي أصيبعة إلى أنه عندما ظهر وجد صناعة الطب قد كثرت فيها أقوال الأطباء السوفسطائيين، وانمحت محاسنها، فانتدب لذلك، وأبطل آراء أولئك، وأيد وشيد كلام أبقراط وآراء التابعين له، كما صنف في ذلك كتباً كثيرة. ولم يجئ بعده من الأطباء إلا من هو دون منزلته ومتعلم منه".

ولجالينوس مصنفات كثيرة، كان الفضل لحنين بن اسحق وتلامذته في ترجمتها إلى اللغة العربية، ومن أشهر كتبه المتعلقة بعلم السموم:

آ-كتاب الأدوية المقابلة للأدواء، جعله في مقالتين، وصف في المقالة الأولى منه أمر الترياق، وفي المقالة الثانية منه أمر سائر المعجونات.

ب-كتاب الترياق إلى مغيليانوس ويتألف من مقالة واحدة.

جـ-كتاب الترياق إلى قيصر، ويتألف من مقالة واحدة أيضاً.

د-كتاب في الأدوية المكتومة، ويتألف من مقالة واحدة أيضاً، وهو من

الكتب التي تنسب إلى جالينوس. قال حنين بن اسحق(١٢): "إن غرض جالينوس في هذا الكتاب أن يصنف ما جمعه طول عمره من الأدوية الخفية الخواص، وجربها مراراً كثيرة فصحت، فكتمها عن أكثر الناس ضناً بها عنهم، ولم يطلع عليها إلا الخواص".

هـ-كتاب في الأدوية المفردة، جعله في إحدى عشرة مقالة. وقد اهتم في هذا الكتاب بقوى الأدوية المفردة بصورة خاصة، فوصف في مقالات ثلاث قوة دواء من الأدوية التي هي أجزاء من النبات(١٣) ثم في المقالة التاسعة قوى الأدوية التي هي مما يتولد في أبدان الحيوان. ثم في المقالة الحادية عشرة قوى الأدوية التي هي مما يتولد في البحر.

جاء بعد جالينوس جماعة من الأطباء، تأثروا بتعاليمه وكتبه، وكان أشهرهم: أوريباسيوس وفيلغريوس (من القرن الرابع للميلاد)، وبولس الاجنيطي (من القرن السابع للميلاد). وقد اشتهر الطبيب فيلغريوس بمقالتين تكلم في الأولى عن صفة الترياق وفي الثانية عن عضة الكلب.

أنواع السموم التي عرفها اليونان والرومان

لقد أحصى العالم Hoefer، في كتابه تاريخ الكيمياء (عام ١٨٦٦)، السموم التي ورد ذكرها في مؤلفات دياسقوريد وجالينوس فكانت كما يلي:

آ-سموم حيوانية: ذراريح-قرادة الثور Bupraste-دم الثور المتفسخ-العلق-العسل السام.

ب-سموم نباتية: عصارة الخشخاش والأفيون-بذور البنج الأبيض والأسود-اليبروح-الشوكران-خانق الذئب-اللحلاح-الخربق بنوعيه-الفطور السامة-ايتوعات.

جـ-سموم معدنية: كبريت الزرنيخ (أو الارسنيك) -كبريت الزئبق (Cinabre)-المرتك (Litharge) الاسفيداج (ceruse)-الجبس-النورة (أي الكلس الحي وحده أو مع الزرنيخ).

"علم السموم والتسميم الجنائي في العصر الإسلامي"

لقد كان لظهور الدين المسيحي أولاً والدين الإسلامي ثانياً أثر كبير في تهذيب النفوس. ويذكر لنا التاريخ عدداً محدوداً من حوادث التسمم الجنائي التي حدثت بعد ظهور الإسلام نذكر منها ما يلي:

١-قصة الشاة المسمومة(١٤):

"ورد في كتب السيرة النبوية أن امرأة يهودية أهدت إلى النبي شاة مصلية بخيبر، فأكل النبي منها وأكل صحابته. ثم قال أمسكوا والتفت إلى المرأة وسألها: هل سممت هذه الشاة؟ فقالت من أخبرك بهذا؟ -قال هذا العظم، وأشار إلى ساق الشاة وهي في يده. فقالت: نعم. قال: لِمَ؟ قالت: أردت إن كنت كاذباً أن يستريح منك الناس، وإن كنت نبياً لم يضرك".

واحتجم النبي على كاهله، حجمه أبو هند بالقرن والشفرة. وبقي بعد ذلك

ثلاث سنين حتى كان وجعه الذي توفي فيه.

٢-مقتل عبد الرحمن بن خالد بن الوليد:

روى أبو الفرج علي بن الحسين الأصبهاني، في كتابه المعروف بالأغاني، إن معاوية لما أراد أن يظهر العقد ليزيد قال لأهل الشام: إن أمير المؤمنين قد كسرت سنه ورقد جلده ودق عظمه واقترب أجله، ويريد أن يستخلف عليكم فمن ترون؟ فقالوا عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، فسكت وأضمرها. ودس ابن أثال الطبيب إليه فسقاه سماً فمات.

٣-مقتل الحسن بن علي:

وفي تاريخ الطبري أن الحسن بن علي بن أبي طالب قد مات مسموماً في أيام معاوية. وكان عند معاوية كما قيل دهاء، فدس إلى جعدة بنت الأشعث بن قيس، وكانت زوجة الحسن، شربة وقال لها: إن قتلت الحسن زوجتك يزيد. فلما توفي الحسن بعثت إلى معاوية تطلب قوله، فقال لها في الجواب: أنا أضن بيزيد.".

٤-مقتل الأشتر والي مصر:

نقل ابن أبي أصيبعة عن أبي عبد الله محمد بن عمر الواقدي أن علي بن أبي طالب بعث بالأشتر والياً على مصر فلما بلغ معاوية مسيره دس إلى دهقان بالعريش فقال: إن قتلت الأشتر فلك خراجك عشرين سنة. فتلطف له الدهقان وسأل: أي الشراب أحب إليه فقيل العسل. فقال: عندي عسل من عسل برقة فسمه

وأتاه به فشربه فمات.

كان ابن أثال طبيباً متقدماً من الأطباء المتميزين في دمشق، نصراني المذهب(١٥). ولما ملك معاوية بن أبي سفيان دمشق اصطفاه لنفسه وأحسن إليه. ويقول ابن أبي أصيبعة إن ابن أثال كان خبيراً بالأدوية المفردة والمركبة وقواها، ومنها سموم قواتل، وكان معاوية يقربه لذلك كثيراً. ومات في أيام معاوية جماعة كثيرة من أكابر الناس والأمراء من المسلمين بالسم.

لقد جرت العادة عند بعض الخلفاء الأمويين والعباسيين، وكذلك لدى بعض الأمراء، أن يكون لكل منهم طبيب يشرف على غذائه ودوائه. فكان ابن أثال طبيب معاوية، والحكم الدمشقي طبيب مروان بن الحكم، وتياذوق طبيب الحجاج واشتهر يوحنا بن ماسويه كطبيب للخلفاء العباسيين، خدم بصناعته المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل.

ويقول ابن أبي أصيبعة على لسان سليمان بن حسان(١٦): "كان ملوك بني هاشم لا يتناولون شيئاً من أطعمتهم إلا بحضرته. وكان يقف على رؤوسهم ومعه البراني بالجوارشنات الهاضمة المقوية للحرارة الغريزية في الشتاء، وفي الصيف بالأشربة الباردة. وقد ألف يوحنا بن ماسويه مجموعة من الكتب الطبية والصيدلانية، منها كتاب في السموم وعلاجها وآخر في تركيب الأدوية المسهلة وإصلاحها. وكان المأمون به واثقاً ومعجباً، وكان لا يشرب الأدوية إلا مما تولى تركيبه وإصلاحه".

٥-قصة حنين بن اسحق مع المتوكل(١٧):

قال عبيد الله بن جبرائيل بختيشوع في كتابه (مناقب الأطباء) إن حنيناً لما قوي أمره وانتشر ذكره بين الأطباء واتصل خبره بالخليفة أمر بإحضاره. وكان الخليفة يسمع بعلمه ولا يأخذ بقوله دواء يصفه حتى يشاور فيه غيره. وأحب المتوكل امتحانه حتى يزول ما في نفسه عليه، ظناً منه أن ملك الروم ربما كان عمل شيئاً من الحيلة به. فاستدعاه يوماً وأمر بأن يخلع عليه ثم قال له: أريد أن تصف لي دواء يقتل عدواً نريد قتله، ولا يمكن إشهاره ونريده سراً فقال له حنين: يا أمير المؤمنين إني لم أتعلم إلا الأدوية النافعة، وما علمت أن أمير المؤمنين يطلب مني غيرها. فإن أحب أن أمضي وأتعلم فعلت ذلك. فقال الخليفة: إن هذا شيء يطول، ثم رغبه وهدده، وهو لا يزيد على ما قاله إلى أن أمر بحبسه. فلما كان بعد سنة أمر الخليفة بإحضاره، وإحضار أموال يرغبه فيها، وأحضر سيفاً ونطعاً وسائر آلات العقوبة ليرهبه بها. ولما أصر على موقفه تبسم الخليفة وقال له: يا حنين طب نفساً، فهذا الفعل كان منا لامتحانك، لأنا حذرنا من كيد الملوك فأردنا الطمأنينة إليك. ثم قال الخليفة: يا حنين ما الذي منعك من الإجابة مع ما رأيته من صدق عزيمتنا في الحالين. فقال حنين: شيئان يا أمير المؤمنين هما الدين والصناعة، قال: فكيف؟ قال: الدين يأمرنا بفعل الخير والجميل مع أعدائنا فكيف مع أصحابنا وأصدقائنا. والصناعة تمنعنا من الإضرار بأبناء الجنس، لأنها موضوعة لنفعهم ومقصورة على مصالحهم. ومع هذا فقد جعل الله في رقاب الأطباء عهداً مؤكداً بأيمان مغلظة أن لا يعطوا دواء قتالاً...".

لم يؤلف حنين بن اسحق كتباً في السموم ولكن له كتاب مشهور يعرف بكتاب المسائل. وقد ألحق به مقالتين شرح فيهما ما قاله جالينوس في الترياق. ويقال بأن هاتين المقالتين هما زيادات أضافها حبيش، تلميذ حنين وابن أخته

ونسبهما إليه.

علم السموم في الطب الهندي(١٨)

تبدأ مدونات الطب الهندي بكتاب اترافا–فيدا Athrava veda، الذي يعود حسبما قيل إلى الألف الأول قبل الميلاد. وفي هذا الكتاب نجد قائمة بأمراض مقرونة بأعراضها، لكنك تجدها محاطة بكثير من السحر والتعزيم.

لقد نشأ الطب في الهند ذيلاً للسحر، فالقائم بالعلاج كان يدرس ويستخدم وسائل مادية لشفاء المريض، على أساس أن هذه تساعد على نجاح ما يكتبه له من صيغ روحانية، ثم أخذ على مر الزمان يزيد من اعتماده على الوسائل الدنيوية، ماضياً إلى جوار ذلك في تعاويذه السحرية، لتكون هذه معينة لتلك من الوجهة النفسية.

إن أعظم اسمين في تاريخ الطب الهندي هما لا شك سوسروتا، الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد، وشاركا الذي عاش في القرن الثاني بعد الميلاد. وقد ألف كل منهما موسوعة (سامهيتا) في الطب، تشمل جميع علومه. ولما تزل هاتان الموسوعتان مأخوذاً بهما في بلاد الهند. ويظهر أثر الطب اليوناني بصورة واضحة في الموسوعة الأخيرة. علماً بأن الطب اليوناني قد تأثر لحد كبير بالطب الهندي، وخاصة بما يتعلق بعلم العقاقير والسموم.

كان للأطباء الهنود شهرة خاصة في تحضير الترياقات المضادة للسموم. ويقول الأستاذ ديورانت أنهم لا يزالون يفوقون الأطباء الأوربيين في علاج عضة

الثعبان.

"كتاب شاناق في السموم والترياق"

قلنا فيما سبق إن جماعة من الأطباء الهنود جاؤوا بدعوة من البرامكة، إلى مدينة بغداد. وكان من أشهرهم الطبيب منكه الذي جاء في عهد الرشيد، مصطحباً كتاب شاناق في السموم والترياق. وقد قام منكه بترجمته من اللسان الهندي إلى اللسان الفارسي، وكان المتولي لنقله بالخط الفارسي رجل يعرف بأبي حاتم البلخي، وفسره ليحيى بن خالد البرمكي. وفي عهد المأمون نقل هذا الكتاب إلى اللغة العربية، على يد العباس بن سعيد الجوهري، وكان هو المتولي لقراءته على المأمون.

لهذا الكتاب خمس مخطوطات موزعة في دار الكتب بالقاهرة ومكتبة برلين والمكتبة الظاهرية بدمشق ومكتبة إستانبول ومكتبة الموصل. وقد قام الزميل الدكتور سامي حمارنة بالمقارنة بين هذه المخطوطات فوجد بينها تقارباً شديداً.

تتألف مخطوطة المكتبة الظاهرية من (٤٠٦) ورقة من القياس المتوسط. وتتألف الصفحة من أحد عشر سطراً وكلها مكتوبة بخط نسخ جيد ومقروء، وقد دونت فيها العناوين بالمداد الأحمر. أما تاريخ كتابة هذه المخطوطة فيعود إلى سنة ٨٨١هـ المصادف ١٤٧٦م. ونجد في الصفحة الأولى من هذه المخطوطة وتحت العنوان السابق المقدمة الآتية: "وهو من أسرار حكماء الهند. وكان الملوك يصونون هذا الكتاب في خزائنهم عن أولادهم وخاصتهم وهو كتاب جليل القدر عظيم الخطر، يشتمل على معرفة جميع السمومات لمجرد النظر إليها، وصفة

مجسها، وما يعرض للإنسان من ذوقها، ومن حصولها في المعدة، وعلامات الأطعمة والأشربة المسمومة وغيرها، مما يتناوله الإنسان من الفواكه الرطبة واليابسة، وعلامات الأشياء المسمومة من الثياب والبسط والفرش، وما يلامس الجسد من الغسول والأدهان والأكحال المسمومة، وصفة السموم الموحية (أي السريعة التأثير)، والسموم المضاعفة القوى، المسماة سم ساعة، وترياقها. وفيه ذكر ترياق لجميع السموم والأفاعي كلها، لا يضر من يستعمله شيء من جميع السموم والحيات. وفيه ذكر للأدوية المحرضة والمرقدات والمبنجات وحلها".

ويقول العباس بن سعيد الجوهري وهو الذي نقل هذا الكتاب من اللغة الفارسية إلى العربية ما يلي:

"قال شاناق عظيم الهند في أول كتابه هذا، بعد أن حمد الله وأثنى عليه، وحلف بعظيم البد (البوذ) إن النعم الظاهرة الفاشية زرّاعة للحسد في القلوب. والحسد مفتاح البغضاء، والبغضاء نتيجتها العداوة بضمر المضمار. والمضمار ينقسم إلى قسمين فأحد القسمين سر مكتوم والآخر جهار مظهور..."

لقد أراد شاناق أن يقول بأن مجالدة الأعداء تحتاج لأسلحة ظاهرة من جنود وعتاد وغير ذلك، وأسلحة خفية كنشر الفتن ودس السموم. واعتبر سلاح السم أشدها فتكاً وأخفاها أثراً.

وبعد أن يذكر صفات أهل العقل وحاجتهم إلى الحذر والتوقي من غوائل أهل زمانهم من ملوك وأولاد وأخوة، يبين حاجة الإنسان بصورة عامة إلى ما يديم

صحته ويدفع عنه السقم، وخاصة الملوك الذين بهم قوام أمر الناس وصلاح دهرهم. ويضيف إلى ذلك قوله:

"والملوك وإن كانوا مساوين للرعية في حد الإنسانية، إلا أنهم بالمملكة سادات ساسة. ومن الضروري القيام بحقهم وتحصينهم من عدوهم. ولذلك كان أسعد الناس عندهم حظاً وأقربهم لديهم مكاناً، وأعظمهم عندهم جاهاً من صرف همه ولطيف عنايته وفكره إلى مصلحتهم والنصيحة لهم".

يتألف كتاب شاناق من خمس مقالات متفاوتة في الحجم والتنسيق. وهو بصورة عامة مضطرب التأليف، ولا يدل أسلوبه والمعلومات الواردة فيه على أن من قام بوضعه رجل يحذق الطب، أو يعرف الأوصاف الحقيقية للسموم والعقاقير.

"المقالة الأولى"

لقد تكلم شاناق في هذه المقالة عن صفات الأشياء المسمومة من طعام أو شراب أو دواء أو محضر تجميلي، مستنداً إلى أوصافها الظاهرية والحسية، والتي تدل غالباً على فساد هذه المواد من جراء سطو الفطور أو الجراثيم عليها، فيفسد هذا تركيبها ويغير من صفاتها. وذكر في هذه المقالة أيضاً بعض الأعراض العامة التي يصاب بها المرء عند تناوله طعاماً أو شراباً مسموماً، بدون تحديد لنوع السم.

آ-علامات الطعام المسموم:

١-في هيئته:

علامة الطعام المسموم من الطبخ قبل إنضاجه هو إمساك سيلانه في إنائه وفورانه. وعلامته بعد إنضاجه التغير والنتن في مدة يسيرة، وسرعة البرودة وذهاب الحرارة وسوء اللون والهيئة، وكونه كاللعاب، ويعلوه دارات كدارات ريش الطاووس.

وعلامات اللبن والعصارات الفاسدة هو كثرة الزبد والنفاخات فيه ووجود خطوط تبدو فيه متصالبة كسلوك الخيوط والأوتار.

٢-في مجسه ولمسه باليد:

هيجان الحرقة وتشنج الأظفار. وورم الأصابع.

٣-في ذوقه ووصوله إلى الفم:

وما يعتري من طعمه سيلان اللعاب والدبيب في الشفة والحرقة في الفم واللسان.

٤-وفي وصوله إلى المعدة:

رشحان العرق والغشي والقيء وتغير اللون والنفخة والقشعريرة، ووجع العين

وغشي نور البصر وتخلع الأوصال والعصر على الفؤاد وثوران بثور في الجسد.

٥-علامة كونه في البطن الأسفل:

الغشي والحرقة والعطش والإسهال ووجع البطن والقرقرة الشديدة فيه بلا خروج منه، وغشيان النعاس وتنكر الحواس وتغيرها. وزوال القوة وذبول الجسم وكسوف اللون، فعند ذلك الهلاك.

٦-علامات النار للطعام المسموم:

إذا لقي من الطعام المسموم شيء فيها ثارت ووثبت وثبة واحدة، واشتد دويها وهريرها. وكان زفيرها شبيهاً بما يكون من صوتها عند إلقاء قطع الملح وأغصان الشجر الغض الرطب فيها دوائر كاستدارة الدراهم. ويصير لونها أخضر ممتزجاً بألوان كألوان قوس قزح. وتصير ألسنة لهبها الذي يرتفع منها كدرة اللون واهنة، ورائحة دخانها كرائحة الإنسان الميت المحروق.

ويوالي شاناق بعد ذلك الكلام عن علامات الأشربة المسمومة والأسوقة(١٩) والافشرجات(٢٠) والانبجات(٢١) والأدهان التي تؤكل والثمار، وكلها علامات سطحية تستند إلى تغير اللون أو تغير الرائحة. فاللبن والحليب الرائب المسموم علامته أن يكون عليه فطر أخضر، والزبد والجبن الرطب المسموم يكون عليه لون أصهب، أما العسل فيكون بلون السلق وهكذا.

ب-علامات ما يلبس ويفترش وما يعلو اليد من ثياب:

إذا سممت هذه الحاجات ظهر عليها لمع كدرة وسخة، فإن تركت تغير ريحها وتقطعت سلوكها(٢٢). وما أصاب منها الجسد اعتراه الحكاك الشديد الحرقة، مع عرق متتابع، وكلما عرق اشتد به ذلك حتى يرم موضعه ويقرح، ويتساقط لحمه، ويعتريه الخبيثة(٢٣)، فإن لم يدارك بالعلاج هلك. أما الوبر والشعر والريش من الملابس فإنها تتمرط وتتنتف...

جـ-علامات التسمم في أنواع العطر والدخن والمروحات وبقية أدوية الزينة:

وكلها علامات غير دقيقة ولا نوعية، فمثلاً علامات الكحل والذرور المسموم أن يعتري صاحبها أن تنساب دموعه المتواترة مع حمرة العين وحرقتها وغشاوتها، ثم تظلم عليه فلا يبصر شيئاً.

د-علامات جامعة لمن أكل طعاماً أو شرب شراباً مسموماً:

أول ذلك عبوس وجهه وخضرة لونه وارتياع قلبه وتفزعه ودمعه وعدته، وقلقه وتقلبه إلى الجهات والنواحي بفتور وانكسار، وتضاحكه من غير ضحك وفي غير أوان ذلك، وتستره واستخفاؤه بما والاه، وقرقعة أصابعه بيده، وخطوط يخطها في الأرض، وحكة رأسه وتثاؤبه وتمطيه ساعة بعد أخرى، واعتماده على من يليه، وكبوته وعثاره في مشيته كالسكران، وتخليط في كلامه... كل هذه الأمور تدل على السموم البطيئة الغير موحية.

"المقالة الثانية"

"في السموم السريعة التأثير"

تكلم شاناق في هذه المقالة عن تحضير بعض الوصفات، التي أطلق عليها اسم دواء للتعمية ولئلا يشيع ذلك عند العامة. وسأذكر فيما يلي بعض النماذج من هذه الوصفات:

الوصفة الأولى:

يؤخذ فرخ صنونية، وهو الخطاف، فيلسع بأفعى حتى يموت. ثم تصيره بين صفيحتين من النحاس الأحمر لاصقتين به، ثم يدفن في مزبلة أو في موضع عفن حتى يتعفن ويلتصق بعضه ببعض، يخرج ثم يجفف في الظل ويسحق. وأخيراً يصير في قارورة، فإذا احتيج إليه أخذ منه قدر حبة ويصير في طعام أو شراب.

الوصفة الثانية:

خذ الدابة المسماة (سالامندرا) وهي دابة تشبه السام أبرص الأصفر، وعلامتها إذا ألقيت في النار أطفأتها. ألقها في إناء من الرصاص الأسود، وذر عليها كندساً مسحوقاً. سدّ رأس الإناء وادفنه في الزبل أربعين ليلة. بدل له الزبل في كل خمسة أيام، فإنه يتهرأ ويعفن. ثم أخرجه وجففه واسحقه وارفعه. والمقدار نصف درهم في طعام حار أو بارد. والموت يحصل خلال ثلاثة أيام أو أقل.

ثم يذكر شاناق بعد ذلك عدة وصفات أساسها: دم الثور المتفسخ–مرارة النمر–أصل ذنب الأيل–مرارة كلب الماء–الحرباء وبيضها–الضفادع السامة ومرارة الأفعى. ويعتبرها كلها من السموم السريعة التأثير لأنه يقول: "وهذا أنفذ الأشياء وأسرعها، ويتخذه الملوك تحت فصوص خواتيمها، لتقتل أنفسها بها، إذا خافت أن تقع في أيدي الأعداء".

ويضيف شاناق إلى سلسلة السموم الموحية (أي الصاعقة)، مما يوضع في فصوص الخواتم، الوصفة الآتية: يؤخذ من البيش البرهمي درهم–ومن أدمغة السام أبرص درهم.

لكنه لم يذكر طريقة التحضير ولا نوعية التأثير ولا عوارض التسمم، أو طريقة المعالجة للتخلص من السم.

"المقالة الثالثة"

–المرقدات–السموم المحدثة للرمد–السموم التي تحدث البرص–

المرقدّات:

لتبنيج كل من حضر في المجلس يذكر شاناق عدة وصفات منها:

الوصفة الأولى:

يؤخذ أفيون طري وعروق الحرمل وعاقر قرصا وأصل البنج، من كل واحد جزء. تدق وتمزج وتنخل ويبخر بها البيت.

الوصفة الثانية:

يؤخذ بزر البنج وأفيون وقنه ولادن وجنديا دستر، من كل واحد وزن نصف درهم، وإذا أردت أن ترقد إنساناً فرش على فراشه من هذه الخرقة التي فيها الدواء، أو شمم من شئت فإنه يرقد من ساعته.

للإصابة بالرمد:

لقد ذكر شاناق عدة وصفات مؤذية تستعمل خارجاً لكي تصيب الأعداء بالرمد نذكر منها:

الوصفة الأولى:

يؤخذ بلاذ–منزوع النوى–فربيون–شجرة مريم، من كل واحد جزء. تدق هذه الأدوية وتخلط بعد النخل بدهن بلسان ثم بدهن البنفسج. وإذا أردت أن يصاب أحد بالرمد فادهن عينه من هذا المزيج من خارج.

الوصفة الثانية:

يؤخذ صمغ الزيتون ويحل بدهن الناردين ثم تمسح به العين من الخارج، فلا يقدر على فتحها وتلتصق أجفانها.

للإصابة بالبرص:

يقول شاناق: إذا أردت أن تصيب إنساناً ما بالبرص فاستعمل الوصفة التالية:

يؤخذ وزغة (سام أبرص) ويشق بطنها ويؤخذ ما في جوفها فيعزل. ويؤخذ صفرة البيض ونطفة رجل أسود، من كل واحد جزء. يدفن المزيج في الزبل الرطب سبعة أيام، ويلطخ على البدن فإنه يبرص من ساعته.

"المقالة الرابعة"

-نعت الجارية المسمومة-

وهي من أغرب الوصفات التي ورد ذكرها في كتاب شاناق. وقد تكلم عنها فقال:

"لقد حكى بعض حكماء الهند المتقدمين أنهم كانوا يغذون الأطفال، من الجواري النفيسات، بالسم فيخالط بدنها، فمن وطئها مات. وسنذكر ذلك في آخر كتابنا".

إلا أن العباس بن سعيد الجوهري، وهو الذي قام بترجمة هذا الكتاب إلى اللغة العربية، قال: قال المأمون: "ينبغي أن يسقط من هذا الكتاب نعت الجارية المسمومة، لأن هذا فعل الجاهلية، ولا حاجة بنا إليه، لأنه يتلف فيه ألف طفل من قبل أن يسلم واحد".

لذلك فقد أسقط البحث من المخطوطة واستعيض عنه في نهاية الكتاب الجملة التالية:

"فأما الجارية المسمومة فإن البرء منها البعد عنها، لأنه لا دواء لها. وهذا مما قد انقطع، وإنما هو شيء كان فيما مضى، ولا تجربة لنا به".

"المقالة الخامسة"

-صيغة الدواء المعروف بالكندهسته-

يعتبر الكندهسته، عند قدماء الأطباء في الهند، الدواء الواقي والشافي من تأثير السموم، أي هو الدواء المقابل للترياق المعروف لدى قدماء أطباء اليونان والأطباء العرب والمسلمين. وقد قال فيه شاناق ما يلي:

"وهو ما يتخذه الملوك في خواتيمها، إذ هو عندها من أفضل أسلحتها وأقوى جندها، ذلك أنه ليس من ملك منهم إلا وقد اتخذ حقاً من فضة على الزر، مطبقاً فيه من هذا الدواء. وقد ألبسه خرقة من ثوبه وصيره زراً لزراعته. فإذا خاف أنه قد

اغتيل أخذه فنجا بإذن الله تعالى".

يتألف الكندهسته من عدد من العقاقير النباتية يزيد على الأربعين، بعضها معروف عند العرب وبعضها مجهول. ويضاف إليها بعض العقاقير المعدنية كالزرنيخ الأحمر والمغرة، من كل واحد جزء. يصب عليها عشرون جزءاً من الماء وتغلى على النار حتى يبقى من الماء الثمن. يرشح ويرمى الثقل ويرد الماء إلى القدر ويغلى مرة ثانية حتى ينعقد. يضاف إلى الخلاصة المائية الباقية مجموعة من المساحيق النباتية والحيوانية ويعجن الجميع بمرارة بقرة ذات لون أصفر أو أحمر.

يجب أن يرقى الدواء أثناء التحضير والعجن بترديد كلام غير مفهوم المعنى، يكرر مراراً حتى يفرغ من العجين ثم يحبب الدواء كأمثال الحمص، ويجعل في قارورة يسد رأسها ويختم. وأخيراً ترقى بجملة أخرى غير مفهومة تكرر إحدى وعشرين مرة. والشربة من الكندهستة حبة للضعيف وحبتان للقوي، فإنه نافع (بإذن الله) من جميع السموم والأوجاع.

من هو شاناق؟ وما هو هدفه من تأليف هذا الكتاب:

لقد جاء في مقدمة كتاب السموم والترياق لشاناق الجملة التالية، وهي غالباً من وضع المترجم أو الناسخ:

كان شاناق عظيماً في الهند، رفيع القدر عند أهل دهره، فوضع هذا الكتاب،

وذكر فيه السموم المستخرجة بالحيل، والدلالة على ما يضادها وينفيها ويرفع ضررها (بإذن الله).

وجاء في كتاب عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة أن شاناق قام بوضع كتاب في علم النجوم وآخر في منتحل الجوهر، ألفه لبعض ملوك زمانه، وكان يقال لذلك الملك (ابن قمانص).

أما كتاب الفهرست لابن النديم فقد جاء فيه أن شاناق ألف كتاباً في أمر تدبير الحرب، وما ينبغي للملك أن يتخذ من الرجال، وفي أمر الأساورة والطعام والسم. كما له كتاب العمل بالنار، والنفط والزراقات في الحروب. وله كتاب الدبابات والمنجنيقات والحيل والمكايد.

لم يذكر ابن النديم أن شاناق كان طبيباً، بل صنف كتبه في باب المؤلفات في السحر والحيل والمكايد وبما أن كتاب الفهرست هو أقدم من كتاب عيون الأنباء، كما أنه أكثر منه شمولاً للمؤلفات العربية، لذلك يمكننا أن نستنتج أن شاناق كان حكيماً من حكماء الهند، المقربين من الملوك. وأنه اهتم بآلة الحرب وقتل العباد أكثر مما اهتم بصلاح الأنفس والأجساد. وبما أن السم يعتبر من أكثر الأسلحة نفاذاً، للتخلص من الأعداء والخصوم، لذلك فقد وضع شاناق كتابه هذا كجزء متمم للمهمة التي أوكل إليه أمرها، وهي التخطيط لكسب المعارك وقهر الأعداء.

الهوامش

(١) –محاضرة ألقيت بكلية الطب في جامعة دمشق، خلال أسبوع العلم التاسع عشر، في جلسة خصصت للاحتفال بغرة القرن الخامس عشر للهجرة.

(٢) –قال القاضي صاعد الأندلسي في كتابه طبقات الأمم: "إن سقراط كان من تلاميذ فيثاغورس، اقتصر من الفلسفة على العلوم الإلهية، وأعرض عن ملاذ الدنيا ورفضها، وأعلن عن مخالفة اليونانيين في عبادتهم للأصنام".

ويقول ابن أبي أصيبعة: إن قضاة أثينا الأحد عشر شهدوا عليه بوجوب القتل، وسقي السم الذي يقال له "قونيون".

(٣) –الجزء الرابع من تاريخ العلم (ص–٢٤٩).

(٤) –الجزء الخامس (ص–٣٣٦).

(٥) –مقدمة كتاب السموم لكوهين ابرست.

(٦) –تأريخ العلوم–الجزء الخامس (ص–٣٣٦).

(٧) –الجزء الأول–صفحة (٣٣).

(٨) -الجزء الأول-صفحة (٨٥).

(٩) -الجزء الأول-صفحة (٣٥).

(١٠) -مقدمة علم السموم لكوهين ابرست.

(١١) -الجزء الأول-صفحة (٧١).

(١٢) -ابن أبي أصيبعة-الجزء الأول-صفحة (١٠٣).

(١٣) -الجزء الأول-صفحة (٩٦) نفس المصدر.

(١٤) -من كتاب الطب النبوي لابن قيم الجوزية.

(١٥) -كتاب عيون الأنباء ج١، ص ١١٦-١١٨.

(١٦) -كتاب عيون الأنباء ج١ ص١٧٥.

(١٧) -كتاب عيون الأنباء الجزء الأول (ص-١٨٧).

(١٨) -قصة الحضارة لديورانت (ج٣-ص ٢٤١).

(١٩) –جمع سويق وهي الجبوب المسلوقة.

(٢٠) –العصارات.

(٢١) –المربيات.

(٢٢) –خيطانها.

(٢٣) –غنغرينا.

المحتويات

مقدمة ٥

التسمم العفوي والتسميم القضائي: ٦

علم السموم قبل اليونان: ٨

علم السموم في العصر اليوناني: ١٠

علم السموم في العصر الهلنستي: ١١

علم السموم والتسميم الجنائي عند الرومان: ١٤

أهم المؤلفات اليونانية في علم السموم: ١٦

أنواع السموم التي عرفها اليونان والرومان ١٩

"علم السموم والتسميم الجنائي في العصر الإسلامي" ٢٠

١-قصة الشاة المسمومة(١٤): ٢٠

٢-مقتل عبد الرحمن بن خالد بن الوليد: ٢١

٣-مقتل الحسن بن علي: ٢١

٤-مقتل الأشتر والي مصر: ٢١

٥-قصة حنين بن اسحق مع المتوكل(١٧): ٢٣

علم السموم في الطب الهندي(١٨) ٢٤
"كتاب شاناق في السموم والترياق" ٢٥
الهوامش ٣٨